

الرعاية الصحية في فكر الإمام علي (عليه السلام)

أ.د. عطا سلمان جاسم م.د. محمد حسين السويطي

قسم التاريخ / كلية التربية / جامعة واسط / جمهورية العراق

المقدمة:

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أبو الأئمة المعصومين (عليهم السلام أجمعين)، إمام فذ يفتدى به، ويستضاء بسيرته العطرة، فحياته مدرسة للأجيال، وسيرته المباركة تجسيد لأمل الشرائع والحضارات، وواجب على كل مسلم أن يستوحي من سيرته، ويختط عليه طريقه في العلم والعمل في مجالات الحياة كافة، ومنها جانب الرعاية الصحية.

لقد أولى الإمام علي (عليه السلام) عناية كبيرة بصحة الإنسان ورعايتها، منطلقاً من رؤية وضحاها بقوله: «الصحة أفضل النعم»^١، فأكد موضوع البيئة المحيطة بالإنسان، وشدد على عدم تلويثها بما يؤدي إلى الإخلال بصحة الإنسان والمجتمع، وسائر المخلوقات الأخرى، وحرص على التعامل مع أغلب الجوانب الصحية في حياة الفرد، ووصف أسباب الأمراض وحوافزها ومناخاتها وعوامل انتشارها، وأرشد إلى آليات الحد من تفشيها، ومنها: الاهتمام بنظافة البيئة، والعناية بالنظافة الشخصية البدنية منها والروحية، والابتعاد عن تناول الأكلات التي حرمها القرآن الكريم.

ولم يكن اختيارنا لموضوع البحث الموسوم (الرعاية الصحية في فكر الإمام علي عليه السلام) جزافاً، أو محض مصادفة، وإنما كان طموحاً طالما تمنينا تحقيقه، لأسباب عديدة، في طليعتها رغبتنا الشخصية في الاطلاع على مناقب هذه الشخصية العملاقة وجانب من آثارها العلمية

القيمة، فضلاً عن قصور الدراسات الأكاديمية والبحثية في ميدان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الجامعات العراقية، وحاجتنا الماسة إلى فهم الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثله الإمام علي (عليه السلام)، مما يمكننا الإفادة منه في حل الكثير من الإشكالات والتحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر. ولأجل ذلك بحثنا في بطون مصادر التراث الإسلامي عن كل ما يرفد الموضوع من معلومات ذات صلة، فما أروع أن ينسب هذا الحقل العلمي الحديث (الرعاية الصحية) إلى من به وبشفاعته ترتجى العافية.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن نقسمه على مبحثين، مصدرة بمقدمة وضحت فكرة البحث ومسوغات اختياره، فاستعرضنا في المبحث الأول أقوال الإمام علي (عليه السلام) وإجراءاته في مجال تعزيز الصحة النفسية والعقلية للمجتمع من خلال نصحه باحترام نفسية الإنسان وعدم شرب الخمر وتعاطي المسكرات والاهتمام بذوي المتطلبات الخاصة، وبيننا في المبحث الثاني أقواله (عليه السلام) وأفعاله في مجال تنظيم الغذاء والشراب وكيفية الوقاية من الأمراض والاهتمام بالنظافة الخاصة والعامة، ورعاية البيئة التي هي مصدر رئيس لصحة الإنسان، وختمنا البحث بموجز لأهم الاستنتاجات، وقائمة لمصادره ومراجعته.

ختاماً نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في إعطاء موضوع الدراسة قيمته العلمية التي يستحقها، ويبقى عملنا هذا من صنع البشر، فما كنا فيه من صواب فذلك بفضل الله وبتوفيق منه، وان تسربت إليه الهفوات فالإنسان خطأ ما عاش، والكمال لله وحده.

المبحث الأول- رعاية الصحة النفسية والعقلية:

تطبيقاً لتعاليم الدين السمحاء، أولى أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) عناية كبيرة بصحة الإنسان النفسية والعقلية، فشدد على احترام النفس الإنسانية، وأكد محاربة كل ما يؤثر في سلامتها العقلية والنفسية، وفيما يلي محاولة لتشخيص الكيفية التي تعامل بها في هذا الجانب.

في مجال رعاية الصحة النفسية، عد الإمام علي (عليه السلام) (الهم) تحدياً نفسياً مؤثراً في صحة أفراد المجتمع النفسية، قد يصل الى إصابة صاحبه بالعمى وفقدان التوازن النفسي والاختلال العقلي^١، وهو ما يفهم من قوله (عليه السلام): «الهم يذيب الجسد... والحزن يهدم الجسد»^٢، واعتباره «الهم نصف الهرم»^٣؛ لذلك دعا (عليه السلام) الى تذليله وتقويضه كما في وصيته: «يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك علي يومك الذي قد أتاك، فانه إن يك من عمرك يأت الله به برزقك»^٤، ووصف (عليه السلام) لأجل ذلك بعض العلاجات والأطعمة المفيدة اللازمة للوقاية منه، كالزيت، «فانه يطيب النفس ويذهب بالغم»^٥.

وفي المجال نفسه، شدد الإمام علي (عليه السلام) على تحريم شرب الخمر، لأضراره الجسيمة بصحة الإنسان البدنية منها والنفسية، فهو يؤدي إلى زوال العقل وفساده، وبالنتيجة إلحاق ضرر كبير بصحة المجتمع وتركيبته الاجتماعية والاقتصادية^٦، وقد أثبت العلم الحديث أن للخمر آثاراً سلبية في أعصاب القلب وسلامة الكليتين وإصابة الجسم بالالتهابات وتلف الأعصاب والشرابين وبالتالي ضعف مقاومة الجسم ومناعته^٧؛ ووصل مدى تشدده (عليه السلام) الى إضرامه النيران بقرية زرارة في الكوفة؛ لأنها كانت مركزاً لصناعة الخمر وبيعها^٨.

ولم تكن رعاية ذوي المتطلبات الخاصة، بوصفها أحد التحديات النفسية المهمة لأفراد المجتمع، ببعيدة عن فكر أمير المؤمنين وتطبيقاته، بل جعلها من أولويات منهجه في رعاية صحة الإنسان النفسية والعقلية، فحدد إطاراً عاماً لكيفية التعامل معهم، ومنحهم حقوقاً وقدمهم على غيرهم، بسبب ما يعانونه من أوضاع تختلف عن غيرهم من الناس الاعتياديين، ولم يقف عند هذا الحد فحسب، بل سعى للتخلص من الإعاقات غير الدائمة والحد منها، بتأكيدِه على سبيل المثال لا الحصر - على تنمية حدائق المنازل وتزيينها بأنواع الورود والرياحين، لأن الرائحة الزكية الصادرة منها لها أثر في تحجيم الكثير من حالات العوق، تمثل ذلك بقوله:

«النرجس ولو في اليوم مرة واحدة، ولو في الشهر مرة واحدة، فان في القلب حبة من

الجنون والبرص لا يقلعها إلا شم النرجس»^٥، ووصاياه الطبية، كوصيته التي وجه بها الى

استعمال الحناء لأنها **«أمان من الجذام والبرص»^٥**.

ولما وصل الإمام علي (عليه السلام) إلى الخلافة، وضع نصب عينيه ذوي المتطلبات

الخاصة، فعاملهم معاملة خاصة مستندة إلى تعاليم الدين السمحة، فشرع قانوناً رسمياً من الدولة لرعايتهم، وذلك من خلال العهد الذي كتبه إلى مالك الأشتر^٥ حين ولاه إمارة مصر، حيث رسم له السياسة الواجب إتباعها معهم والخطوط العامة لرعايتهم، إذ أوصاه بهم خيراً، وأمره بصرف رواتب لهم من بيت المال، وتقديم مواد عينية لهم من غلات أراضي الصوافي^٥، وكان (عليه السلام) يوصي كل شخص يكلفه بمسؤولية بقوله: **«وانظر الى ما اجتمع**

عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة»^٥.

وأدرك الإمام علي (عليه السلام) قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة أثر استقرار الحالة النفسية

في فاعلية العلاج في جسم المريض، وان هناك أمراضاً جسدية ناتجة عن الحالة النفسية والتوهم والتخوف، لذلك أوصى بترك الشكوى من المرض بحدود معينة، بغية عدم نشر

الذعر بين أبناء المجتمع من الأمراض التي تصيب بعض أفرادها، مما يشكل تحدياً نفسياً كبيراً لهم، وعدم السخط أو الانزعاج من المرض، والرضى بقضاء الله وقدره، بنصحه أبناء المجتمع الإنساني بالالتزام بوصية رسول الله (ﷺ) ونصها: "أنين المؤمن تسبيح، وصياحه تهليل، ونومه على الفراش عبادة، وتقلبه من جنب إلى جنب جهاد في سبيل الله، فإن عوفي مشى في الناس وما عليه من ذنب"^٥.

كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) في المجال نفسه بالتخفيف من وطأة المرض على المريض والحد من شدة العصبي والارتباك الذهني الناتجين عن ظرفه، بغية تحجيم المرض وزيادة فاعلية العلاج، وبالنتيجة ارتفاع نسبة الأمل في التماثل للشفاء؛ لذلك أوصى أفراد المجتمع بزيارة المريض ورعايته وتطبيب خاطره بطلو الكلام، فقال (عليه السلام): "سمعت رسول الله يقول: ما من مسلم يعود مسلماً غدوة الا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإذا عادته مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح..."^٥.

المبحث الثاني- رعاية الصحة الجسدية للمجتمع:

لم تقتصر عناية الإمام علي (عليه السلام) على صحة الإنسان النفسية والعقلية، بل شملت كذلك صحة الإنسان الجسدية، فكان شديد الحرص على التعامل مع أغلب جوانب الصحة الجسدية في حياة الفرد، وفيما يلي محاولة لتشخيص الكيفية التي تعامل بها في هذا الجانب. في مجال العناية بنظافة الغذاء والشراب والاهتمام بنوعيتهما، اقتفى أمير المؤمنين (عليه السلام) أثر قوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^٥، فعد (عليه السلام) تنظيم تناول الغذاء والشراب أحد أهم أسباب السعادة الإنسانية؛ لذلك ترك جملة وصايا في هذا

المجال، كوصيته (عليه السلام): «من أراد أن لا يضره طعام، فلا يأكل حتى يجوع، فإذا أكل، فليقل:

بسم الله وبالله، وليجد المضغ، وليكف عن الطعام وهو يشتهي، وليدعه وهو يحتاج إليه»^{٥٠}.

وبناءً على فهم أمير المؤمنين (عليه السلام) العميق لمبادئ الإسلام طبق مفهوم الآية السابقة

في أرض الواقع، فربط بين الإفراط بالأكل وتفاقم المرض، فعد الإدمان على كثرة تناول الطعام سبباً رئيساً لمعظم الأمراض التي تصيب الإنسان، تمثل ذلك بوصاياه الكثيرة في هذا المجال، ومنها: «من قل طعامه قلت آلامه»^{٥١}، ولما سأله رجل عن أمراض كثيرة أصيب بها

وكيف يمكن له أن يتخلص منها، أجابه (عليه السلام) بالقول: «إياك والبطنة فمن لزمها كثرت

أسقامه»^{٥٢}، لأن «من غرس في نفسه محبة أنواع الطعام، أجتني ثمار فنون الأسقام»^{٥٣}، وقد

كرس (عليه السلام) أقواله ونصائحه تلك في وصيته لولده الإمام الحسن (عليه السلام)، التي جاء فيها: «بني

ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، قال الإمام (عليه السلام):

لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع، ولا تقم عنه إلا وأنت تشتهي، وجود المضغ، وأعرض

نفسك على الخلاء إذا نمت، فإذا استعملت هذه استغنيت عن الطب»^{٥٤}.

وتنفيذاً لتوجيهات الإسلام الصحية في تحريم بعض المأكولات، لما لها من أثر فاعل

في إضعاف مناعة الإنسان وجعله عرضة للإصابة بالأمراض، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ

وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ...﴾^{٥٥}، شدد الإمام علي (عليه السلام) في تحريم الكثير من الأغذية الضارة،

وحث على أكل ما له قيمة غذائية، مدركاً أثر نوعية التغذية في بناء مجتمع صحيح عقلاً

وجسداً، سابقاً بذلك الطب الحديث الذي شخص أثر ذلك في مقاومة الجسم للأمراض

بأنواعها⁰، لذلك نهى عن أكل أي شيء دون معرفة خصائصه ونوعيته وجودته، وضرب مثلاً

لأبناء جلدته على نفسه، فقال: «لا أحب أن يدخل بطني شيء لا أعرف سبيله»⁰.

ومن جملة الأغذية النافعة التي حث على تناولها أمير المؤمنين (عليه السلام) التمر، الذي قال

في فائدته: «من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل داء في بطنه»⁰، ولأهميته التي ذكرها

الله تعالى في كتابه العزيز بقوله الكريم: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ

لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁰، نصح (عليه السلام) أبناء جلدته بتناول العسل بقوله: «لعق

العسل شفاء من كل داء»⁰، سابقاً بذلك العلم الحديث الذي أثبت فائدة العسل الغذائية

والصحية⁰، وأكد كذلك أهمية الزيت، فقال (عليه السلام): «ادهنوا بالزيت وأدموا به، فإنه دهنه

الأخيار وادام المصطفين مسحت بالقدس مرتين بوركت مقبله وبوركت مدبرة لا يضر معها

داء»⁰.

ولم تقتصر توجيهات الإمام علي (عليه السلام) ونصائحه في هذا المجال على أنواع

الأطعمة المفيدة فحسب، بل تعداها الى أبعد من ذلك بعرضه الطريقة الأمثل في تناول بعض

الأطعمة والثمار، بغية الإفادة من كل مكوناتها الغذائية، كالرمان الذي قال في طريقة تناوله:

«إذا أكلتم الرمان فكلوه بشحمه فإنه دباغ المعدة»⁰، وهو ما توصل إليه العلماء في العصر

الحديث بوجود مواد غذائية في قشور الرمان تساعد على تهدئة آلام المعدة وتزيد من قدرتها

على عملية الهضم.

ولأن اللحم أحد أهم الوجبات الغذائية الرئيسة للإنسان، نصح الإمام علي (عليه السلام) بعدم النفخ في الذبيحة عند سلقها، فقال: **«لاتنقحوا اللحم»**^{٥٠}، مدركاً انه يمكن أن يكون أحد القصابين مصاب بأمراض معينة تؤدي الى تلوّث اللحم وفساده عند نفخه فيه، ومن ثم يتم بيعه للناس دون علمهم أن هذا اللحم فاسد مما يترتب نتيجة أكلهم لهذا اللحم للناس أمراض خطيرة أبرزها التسمم الغذائي.

واستناداً لأحاديث الرسول (ﷺ) بشرب الإنسان الماء على دفعتين أو ثلاث، لأنه أخف على المعدة والجهاز الهضمي، مثل حديثه (ﷺ): **«لا تشربوا واحداً... ولكن أشربوا مثني وثلاثاً وسموا إذا أنتم شربتم»**^{٥١}، نهى الإمام علي (عليه السلام) عن شرب الماء عبة واحدة، فقال: **«ثلاثاً أو اثنتين»**^{٥٢}؛ ولأجل الحفاظ على مصادر المياه ونشر ثقافة الاستخدام الصحيح لها، برز (عليه السلام) قيمته وفضله على بقية الأشربة، بقوله: **«الماء سيد الشراب في الدنيا والآخرة»**^{٥٣}، ولضمان نقاوته، مما يكون له تداعيات صحية خطيرة على أفراد المجتمع، شدد (عليه السلام) على نظافة مصادره، لاسيما مياه الأنهار والآبار، وتجنب تلوّثها بإلقاء النفايات فيها، ونهى نهياً تاماً عن التبرز أو التبول في الماء أو على شواطئه، وفي ذلك قال: **«لايتغوطن أحدكم... في ماء جار، فمن فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»**^{٥٤}.

وفي مجال الوقاية والتداوي من الأمراض التي تُعد من الخطوات المتقدمة في صحة المجتمع، ترك أمير المؤمنين (عليه السلام) جملة وصايا وقائية، منها: **«توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره، فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار: أوله يحرق وآخره يورق»**^{٥٥}.

وأكد العلم الحديث فاعلية الدواء في الشفاء من الأمراض، إلا أنه في الوقت نفسه أوصى بتجنب استعمالها قدر الإمكان دون حاجة أو وصفة الطبيب المختص، لضررها المباشر في صحة الإنسان وعافيته، وقد وضح هذه الفكرة أمير المؤمنين ودعا إلى نشر ثقافتها بين أفراد المجتمع، فقال (عليه السلام): «اجتنب الدواء ما احتل بدنك الداء، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء»^٥، وفسر ذلك (عليه السلام) بقوله: «ليس من دواء الا ويهيج داءاً، وليس شيء في البدن من إمساك... الا عما يحتاج إليه»^٥.

وسار الإمام علي (عليه السلام) في مجال النظافة الخاصة، التي تُعد من أبرز الإجراءات الوقائية لحفظ الصحة العامة للمجتمعات الإنسانية، على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فاعتبرها من سنن الإسلام الرئيسية، ولأجل نشر هذه الثقافة الصحية ترك جملة من الأقوال والأفعال، ففي نظافة البدن، قال (عليه السلام): «نتف الإبط ينفي الرائحة المنكرة، وهو ظهور وسنة»^٥، ولأن الأيدي سبباً مهماً لنقل الجراثيم ومرتع خصب لها، لاسيما ما بين اللحم والأظفار، قال (عليه السلام): «من غسل يده قبل الطعام وبعده، بورك له في أول الطعام وآخره، وعاش ما عاش في سعة، وعوفي من بلوى في جسده»^٥، وبين أن سبب تأكيد غسل الأيدي إدراكه إنها سبيل مهم لنقل الجراثيم والأمراض، كما في قوله: «غسل اليدين قبل الطعام وبعده، زيادة في العمر، وإماطة للغمر عن الثياب، ويجلو البصر»^٥.

ووجه الإمام علي (عليه السلام) بالاهتمام بنظافة أجزاء الجسد التي تكون عرضة للتلوث المباشر، ومنها: الأسنان باعتماد السواك، لإزالة بقايا الطعام وعدم بلعها، لان في ذلك خطراً على صحة الإنسان وسلامته، فقال: «خمس يذهبن بالنسيان ويزدن في الحفظ ويذهبن بالبلغم:

السواك والصيام وقراءة القرآن والعسل واللبن»^{٥٠}، وفي موضع آخر قال (ﷺ): «عليكم

بالسواك فإنه يطيب رائحة الفم، وعليكم بالكحل فإنه يجلو البصر»^{٥١}، وقد أثبت الطب الحديث

أن معظم الأمراض التي تصيب الإنسان سببها بقايا الطعام الموجود في الفم، وإن خير وسيلة لمقاومتها تنظيف الأسنان بصورة مستمرة^{٥٢}؛ ولأن الأظفار أحد أجزاء جسم الإنسان المهمة،

وعدم الاهتمام بنظافتها يؤدي إلى نمو الجراثيم تحتها مما يشكل خطراً على حياة الإنسان

وصحته، حذر (ﷺ) من إهمال تنظيفها، فقال: «تقليم الأظفار يوم الجمعة يمنع كل داء،

وتقليمها يوم الخميس يدر الرزق درأً»^{٥٣}، وقال أيضاً: «تقليم الأظافر يمنع الداء ويجلب

الرزق ويدره»^{٥٤}.

وفي مجال رعاية الأمومة والطفولة ولحاجة الأم إلى الغذاء المركز الذي تتولد عنه

طاقة تتقوى بها على مشقة الولادة ثم الرضاعة، أكد أمير المؤمنين (ﷺ) نوعية غذائها في

أشهر حملها وولادتها، فوصف الرطب غذاءً ودواءً للأم في أشهر حملها، فقال (ﷺ): «ما

تأكل الحامل من شيء، ولا تتداوى به أفضل من الرطب»^{٥٥}، ووصفه لها أيضاً في شهر نفاسها،

قائلاً: «اطعموا المرأة في شهرها الذي تلد فيه التمر، فإن ولدها يكون حليماً نقياً»^{٥٦}، مستنداً

(ﷺ) في أقواله تلك إلى فهمه العميق للقرآن الكريم، حين وصف الله تبارك وتعالى الرطب

غذاءً للسيدة مريم (عليها السلام) في أيام حملها، قائلاً جل في علاه- ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجُدِّعِ

النَّخْلَةَ تَسَاقِطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا﴾^{٥٧}، وهي أقوال علمية سبقت العلم

الحديث الذي أثبت فائدة التمر للمرأة الحامل والنفساء؛ لاحتوائه على عناصر غذائية مركزة

تفيد في غسل الكلى وتنظيف الكبد، والى غير ذلك من الفوائد التي لا تقتصر على الأم فحسب

وإنما تشمل مولودها أيضاً، إذ تزيد هذه العناصر الغذائية من وزن الطفل وتحفظ رطوبة عينيه ويريقيها وتقوي عظامه^٥.

وفي مجال رعاية الطفولة وتماشياً مع الإسلام منح الطفل أهمية كبيرة حتى قبل أن يُشكل في بطن أمه، منطلقاً من أن ولادته بصورة سليمة وتربيته بطريقة حسنة تؤدي إلى خلق مجتمع سليم، ويكمن ذلك بتأكيداته ووصاياه، فلما أراد (ﷺ) الزواج بعد وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قال لأخيه (عقيل بن أبي طالب)، وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: "أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحول من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً" فأجابه (عقيل) قائلاً: "تزوج فاطمة بنت حزام الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها"، فتم ذلك وولدت له العباس المعروف بقوة جسده وشجاعته وخلقه الكريم^٥.

وسرت وصايا أمير المؤمنين (ﷺ) مع إلزام الإسلام الأم برضاعة طفلها، كما في قوله عز وجل: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^٥، وبين من خلالها أهمية فائدة حليب الأم في بناء جسم طفلها وسلامته الصحية، كقوله: "ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه"^٥، وفي حالة مرض الأم أو وفاتها نصح (ﷺ) باختيار النسوة الجيدات في سلوكهن لعملية إرضاع الطفل في حالة عجز والدته عن ذلك؛ لأن حليب المرضعة أساس سلوك الإنسان وطبائعه، فقال (ﷺ): "تخيروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح، فإن الرضاع يغير الطباع"^٥، وحذر في الوقت نفسه من رضاعة النسوة غير السويات في سلوكهن؛ لأن ذلك سينعكس سلباً على طباع الأطفال، فقال (ﷺ): "توقوا على أولادكم لبن البغية والمجنونة، فإن اللبن يعدي"^٥، كما قال: "لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن

يغلب الطباع»^٥. وسبب تأكيد مدة رضاعة الطفل لعامين^٥ هو لإتمام الفائدة المرجوة من

الرضاعة الطبيعية، مما ينعكس إيجاباً على بنية الطفل ويسهم في خلق مجتمع قوي خال من الأمراض، وهذا يتماشى تماماً مع وصايا العلم الحديث التي برهنت على أن حليب الأم هو أهم وأفضل غذاء للطفل^٥.

ولأجل وقاية الطفل من الأمراض أكد الإسلام موضوع نظافة الطفل، وشدد (عليه السلام) في ذلك، فجعل الختان الذي ينبغي أن يكون بوقت مبكر من عمر الطفل شرطاً أساساً لطهارته، لما في ذلك من أثر في تدعيم صحته وعافيته^٥؛ لذلك أوصى أبناء جلدته قائلاً: «اختلفوا أولادكم يوم السابع، ولا يمنعكم حر ولا برد، فإنه طهر للجسد»^٥. كما أكد على تغذية الطفل تغذية جيدة، لما في ذلك من أثر ايجابي في تكامل عملية بناء جسمه، كما في قوله: «أطعموا صبيانكم الرمان، فإنه مسرع لأستنتهم»^٥.

ولم يكن الأطباء والبياطرة، ببعيدين عن فكر الإمام علي (عليه السلام)، بوصفهم أحد أهم أركان المنظومة الصحية للمجتمع الإنساني، فقد أكد عدم مزاوله مهنة الطب الا لمن هو مؤهل لذلك، وحذر من الأخطاء الطبية والفنية للطبيب، بقوله: «يامعشر الأطباء البياطرة والمتطبين من عالج منكم انساناً أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن»^٥.

ومما تقدم من توصيات وتوجيهات صحية تتطابق بإجمالها مع ما وصل إليه الطب الحديث، وبهذا سبق فكر الإمام علي (عليه السلام) العلم الحديث في تأسيس منظومة وقائية- علاجية للمريض يمكن باعتمادها الإسراع بشفاؤه وتخليصه من أمراضه.

الخاتمة

(خلاصة البحث وأهم الاستنتاجات)

١- شخص الإمام علي (عليه السلام) الخطوط العريضة لصحة الإنسان، وأسباب عدم استقرار حالته النفسية، ووضع المبادئ العامة للعلاجات اللازمة لهذه الحالات، التي تمثلت بدعوته إلى نشر ثقافة التراحم والمودة بين أفراد المجتمع الإنساني.

٢- حارب الإمام علي (عليه السلام) شرب الخمر، لإدراكه أثره السلبي في تدهور صحة الإنسان الجسدية والعقلية.

٣- تنبه الإمام علي (عليه السلام) إلى ذوي المتطلبات الخاصة، فطرح سبلاً عديدة لتحجيم قضية العوق في المجتمع الإسلامي ومقاومتها، ومنها: اعتماد الأدوية الوقائية والعلاجية، والتركيز على نوعية الغذاء.

٤- شخص الإمام علي (عليه السلام) ضرر الإسراف في الطعام والشراب بأنه يؤدي إلى جملة مشاكل صحية، ولأجل ذلك دعا إلى اعتماد الحمية بوصفها سبيلاً للوقاية من الأمراض، وإلى تنظيم الوجبات الغذائية الرئيسية.

٥- حث الإمام علي (عليه السلام) على النظافة الخاصة، التي اعتبرها من أبرز الإجراءات الوقائية لحفظ الصحة العامة للمجتمعات الإنسانية، وعالج أدق الأمور في هذا المجال، ولاسيما نظافة الجسد والثياب والأواني والأثاث.

٦- دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى الاهتمام بالمناطق الخضراء وتوسيعها، فضلاً عن الاهتمام

بنظافتها ورعايتها.